Wolfgang Lotz, The Champagne Spy,
(Valentine, Mitchell, London, 1972).

لا يوجد في اعلانات الصحف حقل لوظائف الجواسيس الشاغرة . وعندما ينكشف امر الجاسوس تنتهي بانكشافه حياته المهنية ولا يدري ما يفعله بليله ونهاره . المهمة الوحيدة التي تبقى مفتوحة امامه هي ان يبيع نفسه للدعاية كما باعها من قبل للجاسوسية . ويقوم بهذه الخدمة عادة الجواسيس المتقاعدون عن طريق كتابة مذكراتهم التي يقدمونها الى العالم مصحوبة بايمان مغلظة بانها الحقيقة ، كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة . ولكن من يستطيع تصديقهم بعد حياة كل ما فيها كذب ؟

وها نحن امام حلقة جديدة من هذه السلسلة . بطل هذه الحلقة هو ولفغانغ لوتز ، الجاسوس الاسرائيلي الذي تقمص شخصية ثري الماني وهز مصر بافتضاحه مثلما هزها بتنكره . وقد كتب عنه الكثير في الشرق والغرب حتى تطوع هو اخيرا — كما يقول — ليقص على العالم قصته بحقائقها كما يقول ايضا . ومن يقرأ كتابه هذا « جاسوس الشمبانيا » يلتقي بشخصية عاشت في عالم كل ما فيه افتراء وكذب ومخادعة . وهناك في اسرائيل من يعتقد انه كان يخادع الاستخبارات الاسرائيلية ايضا بعيشه عيشة باذخة في القاهرة لا تتناسب نفقاتها مع ضحالة المعلومات التي جاء بها . ونحن نعرف كيف يتحول الكذب الى داء متأصل بعد اشهر قليلة من ممارسته . ويظل القارىء يسائل نفسه كما تساءل قضاة مصر من قبل : اين كذب لوتز واين صدق . مجهود عسير لغير الملم باستراتيجية الاعلام الاسرائيلي ، ومضن للملم بها . ونلمس في الكتاب امثلة مختلفة للسهولة التي يفتح فيها المؤلف مغالطاته . ومن ذلك اشارته الى تدفق المساعدات السوفييتية الى العالم العربي قبل ١٩٥٥ .

لقد تظافرت عناصر كثيرة في شخصية لوتز حملت الاستخبارات على اختياره جاسوسا لها في مصر . لقد ولد لوتز في المانيا من اب مسيحي وام يهودية، وبهذه الصفة بقي بدون ختان ، مما ساعده على اقناع المحققين المصريين بانه ليس يهوديا ولا اسرائيليا . وورث من ابيه ايضا القيافة الآرية وسيماء الوجه الالماني . ولم يذهب الى فلسطين حتى ١٩٣٣ بعد ان اكتسب اللغة واصول السلوك من المانيا . وكانت امه ممثلة ومنها اكتسب قابليته على التمثيل وارتجال المواقف . وعندما اندلعت الثورة الفلسطينية في الثلاثينات انضم الى كتائب الهاغانا حيث تلقى اول دروسه العسكرية وتلقى ما هو ابعد خطرا من ذلك ، تلقى كرها متأصلا للعرب . وقام بأول افتراء خطير يلقي ضوءا على سلوكه المستقبل بتزويره الوثائق اللازمة لدخول الجيش البريطاني اثناء الحرب الثانية . وعهد اليه الانكليز بمهمات استخبارات في مصر . ثم خاض حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ .

وبالاضافة الى اتقانه اللغات العبرية والعربية والالمانية والانكليزية ، اصبح لوتز يجمع مع المؤهلات ما يجعله موضع اي جاسوس في العالم . ولكن مؤهلاته لم تقف هنا . لقد كسب من امه الممثلة ايضا روحا فريدة للنكتة وحصل من الاستخبارات الاسرائيلية على حساب مفتوح لا حدود لمخصصاته . قال له رئيسه عندما عاين فاتوراته : الجاسوس الناجح يساوي لواء من العساكر ولكنه ايضا يكلف ما يكلفه اللواء.وبالنكتة والكرم يستطيع اي انسان ان يكسب ود اي انسان في القاهرة . لقد اصبحت ابواب التغلغل مفتوحة على مصراعيها امامه .

ومع ذلك فالقارىء العربي يضيق ذرعا بعمى القلب الذي ابداه المسؤولون في القاهرة آنئذ . فبعد اسابيع قليلة اصبح هذا الاجنبي « واحدا من اهل البيت » في بيوت القادة والخبراء العسكريين . لقد سمحوا له كمرب للخيول ان يضع خيله في اصطبلات الجيش في معسكر العباسية واعطوه بطاقة مرور تسمح له بدخول المعسكر اني شاء . ولتدريب حصانه ارشدوه الى ساحة سباق جنب معسكر الدروع قرب مصر الجديدة . ومن برج هذه الساحة راح يصوب منظاره لا الى حصانه الراكض وانما الى الدبابات الرابضة . واخيرا دلوه الى حقل لتربية خيله قرب معمل للصواريخ على طريق الاسكندرية .

ويتحدث لوتز عن طريقته في جمع المعلومات فيقول انه لم يحاول شراءها او طلبها من احد . لقد آثر ان يستغل هيام العرب بالكلام والمحادثة ، وجنوح معارفه من ضباط وخبراء الى التباهي